المحاضرة رقم: 03

المذهب العقـــــلاني:

" إن كل مذهب فلسـفي إنما هو"وجهة نظر" تنطوي على رسـم نموذج أو إطار لأصـناف الأشـياء الموجودة في العلم، أو طريقة ترتيبها وارتباط بعضـــها ببعض، ووجوه تميز بعضـــها عن بعض؛ ينطوي المذهب الفلســفي بعبارة أخرى على تصــنيف الموجودات من مقولات، تضــم كل مقولة على نوعا متميزا من أنواع الموجودات، كما يرسم هذا التصنيف العلاقات بينها وصلتها بمعتقدات الرجل العادي الراسخة ومعطيات العلم المتطورة"[1] .

1- العقلانية مقاربة مفهومية:

أ– لغة: يشـير معنى العقل من الناحية اللغوية إلى التثبت في الأمور، والعقل القلب، وسمي العقل لأنه يعقل صـاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسـه، وقيل العقل هو التميز الذي به يتميز الإنسـان عن سائر الحيوان ويقال لفلان قلب عقول ولسان سؤول بمعنى الفهم"[2] .

ب– اصطلاحاً:

يمكن تعريف العقل بعدة تعريفات:

فهو في المقام الأول: ملكة إدراك ما هو كلي وضروري سواء أكان ماهية أو قيمة، ويعبر عن نفس المعنى تقريباً بطريقة أخرى، فيقال إن العقل هو " ملكة الربط بين الأفكار وفقاً لمبادئ كلية". لكن مجرد "الربط" بين الأفكار لا يكفي لتحديد العقل (...) أما الانســـان العاقل فيدرك أن هذا التعاقب يتم وفقاً لمبدأ ضـــروري كلي. ومن هنا أيصـــاً يمكن أن نحدد العقل بأنه " قوانين الفكر الضـــرورية الكلية"[3].

---

[1] – محمود زيدان: مناهج البحث الفلسفي، جامعة بيروت العربية – لبنان، 1974، ص 16.

[2] – ابن منظور: لسان العرب،ج3،دار الجيل الجديد، بيروت – لبنان، 1988، ص 845.

[3] – عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت- لبنان، ط1، 1984، ص 72-73.

يعرف "ابراهيم مذكور" العقل في معجمه الفلسفي: "بأنه أسمى صور العمليات الذهنية بعامة والبرهنة والاستدلال بخاصة، ويراد به أيضاً المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العلماء جميعاً وهي مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض ومبدأ العلية"[2]

لقد ذكر "أندريه لالاند" في معجمه الفلسفي العقل "Raison"، فمن حيث اشتقاقه اللغوي، اشتق من جذر"rat " ويماثلها لفظ " rat"، والتي قد تفرعت من :"ars"،Artus سواء في الكلام على شيء، أوالكلام على شخص ، وقد تعود إلى ratis التي تعني حزمة من القطع الخشبية، بينما ration فقد تعني منظومة أفكار مترابطة، أو الحساب أو الاستدلال"[1] .

لقد أدرك "لالاند" أنّ هذا اللفظ قد تطور في اتجاهين مختلفين، إذ يقال أحياناً على الملكة العقلية القادرة على تنيظيم العقل لمختلف العمليات المتصلة بالأنشطة المعرفية والمنطقية والاستدلالية، كما يقال أحياناً أخرى على الملكة التي تقرر ما هو مطلق في معرفة الكون وتقديم الأسس التي يقوم عليها في امكانية بلوغ الحقائق الضرورية والكافية على مستوى الفكر والحياة بوجه عام"[2]. أما "جميل صليبا" يعرف العقل في معجمه الفلسفي قائلاً: "هو الحجر والتهي، وقد سمّي بذلك تشبيها بعقل الناقة؛ لأنه يمنع ضاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود"[3] .

فالعقلانية من حيث الاشتقاق اللغوي، مأخوذة من اللفظ اللاتيني Ratio بمعنى عقل أو بصيرة، أما معناه الحرفي، فإنه يوحي غلى أسلوب في التفكير أو التفلسف، فهو مذهب يقوم على العقل خلافاً لمذهب العقلانية Rationalisme ، وتعني العقلانية قدرة الانسان في حياته اليومية وممارسته المعرفية أن يسير في تفكيره وفقا لمبدأ الوعي مبتعدا قدر الامكان عن تسلط العواطف والمشاعر والميل مع

---

[1]– ابراهيم مذكور:المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة – مصر، ط1، 1983، ص 120.

[2]- André Lalande : vocabulaire technique et critique de la philosophie, 2vol, PUF, Paris, 1997

[2]-André Lalande :ibid

[3] – جميل صليبا:المعجم الفلسفي،ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت –لبنان 1982، ص 90-91.

الهوى أو فقاً لاعتبارات المصالح، ويدل مصطلح العقلانية في الفلسفة على متميز في نظرية المعرفة وهو مصطلح يقابل التجريبية"[1] .

يطلق اسم العقلانية على كل نزعة فكرية تعمل على تقديس العقل، وتجعل منه المصدر الأول في تحصيل المعرفة، ويعتبر العقل الأداة الأساسية في تشكل جميع المعارف التي تسير عبر مختلف المراحل الاستدلالية والمنطقية، وبالتالي يمثل هذا العقل العنصر الرئيس في التمييز بين الحقيقة والوهم وبين الصواب والخطأ وبين الخير والشر، باعتباره الميزان الذي نرجح به الأفعال في ميدان الأخلاق وأصناف الحكم على القضايا بالصحة والخطأ في ميدان المنطق .والعقلانية من حيث مبدئها، هي نزعة تتعارض مع كل أشكال اللاعقلانية، لأنها لا تؤمن بأي مصدر آخر من غير العقل، وبالتالي أصبح العقل بمثابة الموجه الفعلي لمختلف الادراكات والتصورات التي تستقر على مستوى الذات الانسانية، وبذلك تأخذ العقلانية في تعاملها مع مختلف الموضوعات بالآليات العقلية وبأسسها كالبداهة والبرهنة والاستدلال.

وفي هذا السياق أصبحت العقلانية تدل على كل مذهب فكري يقول بأولوية العقل وأن جميع المعارف التي يقوم عليها، تنشأ أساسا من المبادئ العقلية القبلية الضرورية الموجودة فيه بصورة فطرية والتي لم تحصل لا من الحس أو التجربة، وهذه الأشياء لا يمكن أن يكون لها وجود بمعزل عن ذهن يعيها ويدركها، أما الموضوعات والأشياء الموجودة في العالم الخارجي ليس بإمكانها أن تصل إلى مرتبة أعلى في معرفتها دون تدخل من قبل العقل الذي يعمل على تنظيمها وادراك محتواها، هذا الذي قاد "ديكارت" رإلى القول في التأمل الثاني " بأنه من الضروري التمييز بين المخيّلة والتصور الخالص للإدراك وللعقل"[2] .

وبذلك اعتقد الفلاسفة العقليون عموما بقدرة العقل على إنتاج المعرفة اعتمادا على إمكانياته الذاتية لوحدها ودونما وجود الحاجة إلى الاستعانة بالتجربة أو الحواس، وآمنوا باحتواء هذا العقل على مبادئ فطرية أو قبلية مطلقة وسابقة على التجربة، وهي أساس كل معارفنا اللاحقة.

---

[1] – ابراهيم مصطفى ابراهيم: قصة الفلسفة الحديثة، من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية مصر،2001، ص 121.

[2]- Descartes : Principes de la Philosophie, Ed, Gallimard, Paris, 1953, p.405.

وقد عبر أفلاطون عن هذا المنحى العقلي منذ البدايات الأولى للفلسفة مع اليونان، حيث تحدث عن وجود عالمين؛ عالم المثل وهو عالم عقلي مفارق، إنه مستودع الحقائق المطلقة والخالدة والتي لا تدرك إلا عن طريق التأمل العقلي الفلسفي. أما العالم الثاني فهو العالم المادي الحسي الذي هو عالم الأشباح والظلال وأشباه الحقائق الفانية. وهكذا فإدراك الحقيقة يتطلب حسب أفلاطون تجاوز ما هو حسي وظاهري، وممارسة التأمل الفكري لإدراك الحقائق الموضوعية التي توجد في استقلال عن الذات العاقلة، في عالم سماه أفلاطون عالم المثل .

2- مسلمات العقلانية:

إن الولوج إلى المنظومة الفكرية التي تأسست عليها العقلانية يدرك أن نزعتها الفلسفية والفكرية تقوم على أساس وجود مسلمة نواتية في معتقدها الفكري، وهو التسليم بالقول أن الأصل الأول للعلم الانساني ومصدره الأسبق؛ هو العقل، وليس التجربة، لأن " مذهب العقلّيين الذين يقولون عن القوة العاقلة في الإنسان ـ وهي في نظرهم قوة فطرية ـ هي الأصل الذي يصدر عنه كل علم حقيقي ، أو أنها على الأخصّ، مصدر أهم صفتين يتصف بهما العلم الحقيقي، وهما: صفتا الضرورة والصدق المطلق"[1]، هذا ما يوحي بأن جلّ المعارف التي يحتوي عليها العقل الانساني تعود إلى مصادر فطرية قبلية سابقة عن التجربة، فالتصور من حيث هو فعل العقل ناتج عن العملية التي ندرك بها الموضوعات الماثلة أمامنا، لذلك يُعرّف "اميل لتريه" Emile Littré التصور :" بأنه ملكة فهم الأشياء"[2]، وهذا الفهم في حد ذاته يتجاوز الحدود اللغوية الضيقة، ومن ثمة كانت الغاية من ضبط التصورات متمثلة في الاحاطة المنطقية بالحدود والألفاظ المعبرة عنها، فتفضي بدورها إلى استبصار حقيقة المفهوم حتى نتمكن من معرفة محتواه الفكري.وبالتالي يمكن حصر هذه المسلمات في أربع نقاط:

أ- ترتد المعرفة الحقيقية إلى ما يميز الانسان عن باقي الكائنات إلى ميزة العقل لا الحواس، باعتبار أن ملكة العقل قوة فطرية يتساوى فيها جميع الناس، وينهلون منها مختلف المعارف والأفكار

---

[1] – أزفلد كولبي: المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلا عفيفي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، ط5، (د.ت) ص 269.

[2]- Emile Littré: Dictionnaire de la langue Française, Librairie Générale Française, 2édition,1990, p.320.

عن العالم الخارجي، بينما تقتصر الحواس على عالم الأشياء، لكن طبيعة المعارف التي تقدمها الحواس لا يمكن الوثوق فيها لكونها لا تثبت على حال.

ب- كما يقوم العقل باحتضان الحقائق ذات الطابع الحدسي على أساس أنها توفر له المنطلق المتين في رصد المبادئ الأولى للمعرفة، وهذه المبادئ تعد بمثابة القواعد الموجهة لنشاط العقل في تفاعله مع مختلف الموضوعات تفاعلاً منطقياً حتى تقيه من الوقوع في التناقض أو الأخطاء، بما " أنّ البداهة التامة وما يتعلق بها من حقيقة خالصة مضبوطة، إنما تظهران لنا كفكرة متضمنة في الميل إلى معرفة حدسية؛ فالصحة والخطأ، والنقد ومطابقة النقد للمعطيات البديهية، إن هي إلا موضوعات أثرت من قبل في الحياة السابقة على الحياة العلمية"[1] .

ج- هذه الحقائق التي يصل إليها العقل، فإنها تتوفر على خصائص ومميزات، منها أنها كلية تتمتع بالصدق وتسبق كل تجربة، حيث لا يعتريها أدنى شك، ومنها يستنبط العقل النتائج التي تترتب عنها، هذا الذي يفضي إلى تشكل المعرفة التي تتصف باليقين وبالصدق في كل زمان ومكان، لأنه يمكن وصف حقائق العقل بالبساطة والوضوح، وهذا ما فعله "لايبنتز" حين قام بتقسيم القضايا إلى صنفين: حقائق العقل، وحقائق الواقع، فحائق الواقع محتملةن بينما تمتاز حقائق العقل بالبساطة وهي التي تؤسس تفكيرنا في فحصها للقضايا، " فالقضية تكون صحيحة إذا كان نقيضها يشتمل على التناقض"[2] .

د- هذه الحقائق أو المبادئ العقلية بمواصفاتها الكلية، لا تقتصر على المعرفة المجردة أو المادية، لذلك فهي تعد مرجعية ضرورية في كل عمل فكري يبتغي تحصين المعارف من اللواحق الارتيابية، ومنها يمكن للفيلسوف الأخلاقي أن يبني على ضوئها نسقه القيمي على قواعد واضحة، تتناغم بشكل كبير مع المنظومة الأخلاقية التي يستلهم منها المربون والمرشدون مقاصدهم السلوكية، دون الحاجة إلى برهان، لأنها تتمتع بالوضوح.

3- اختبار مسلماتها:

---

[1] – ادموند هسرل: تأملات ديكارتية، ترجمة، تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان 1958، ص 62.

[2] – جون كوتنغهام: العقلانية فلسفة متجددة، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، مركز الانماء الحضاري، للنشر، حلب ـ سوريا 1997، ص 71.

بما أن ملكة العقل تمثل محور الأنشـــطة الفكرية في النســـق العقلاني، فإن التمييز بين مختلف الادراكات والمعارف يقع على سـلطة العقل لا الحواس، لأن العقل باعتباره القوة الفطرية التي يشـترك فيها جميع الناس، ومنها ينهلون المحتوى المعرفي ويطمئنون إليه، في حين نجد الحواس ترتبط موضـوعاتها بعالم الأشـياء وليس في مقدورها التثبت على حال أثناء رصـدها لحقائق الأشـياء الموجودة في العالم الخارجي، لذلك اعتبر العقل في نظر المذهب العقلاني بمثابة القوة الفاعلة في توسيع مدارك الحقيقة التي عجزت عنها الحواس وذلك، لأن:

فضل العقل يعود إلى القدرات التي يتمتع بها في اصدار الأحكام وتحصيل المعرفة الصحيحة وتحديد سـلوكه طبقاً لهذه المعرفة التي يتوفر عليها، وبالتالي أصـبح هذا العقل مصـدراً أولياً لجميع أفكارنا ومعارفنا، لذلك اعتبر على أنه قوة فطرية لها قدرة على الوصـول إلى تأسـيس مبادئ عالمية، اسـتحق التبجيل والاشـادة به في منحه هذه المكانة الفلسـفية التي يحظى بها، لكونه ملهم لكل أصـناف المعرفة الحقيقية، ولأخذ به يعود إلى قدرته على مجاوزة سـلطة التقليد."وكان الفلاسـفة متفقين اجمالا على أن المعرفة العقلية (على تضـاربهم في طبيعتها وقيمتها) أعلى من المعرفة الحسـية وحاكمة عليها، انتهت مسألة المعرفة إلى أن تكون مسألة العقل"[1] .

بما أن العقلانيين أشـادوا بالعقل واعتبروه القوة العليا في ذات الانسـان، فإن هذا العقل هو المصـدر الذي تشـــع منه أنوار الحقيقة، فهو يحتاج إلى تمجيد، لهذا عمل الفيلســـوف العقلاني "ديكارت" رد الاعتبار للعقل في الوقت الذي عرف فيه معاناة كبيرة وتعرضـه لحالات من الازدراء والاحتقار من قبل الكنيسة، خصوصا في المراحل الوسيطية، هذا الذي تسبب في حدوث خلافات كبيرة لـ"ديكارت" في مواجهة الفكر الأرسـطي وثقافة عصـره، بعد أن ذاع صـيت مدرسـة الشـكاك التي تزعمها "مونتاني". لذلك اعتقد بضـرورة رد الحقيقة إلى العقل وجعل البداهة مقياس الصـواب والخطأ، "لأن البداهة تظهر إذن كضـــرورة عقلية نيّرة . هي عقلية، لأن عقلنا مرغم على الاثبات من جهة وهذه هي الضـــرورة المتلقاة، أو أن عقلنا يتقبل الاثبات، وهذا هو الايمان"[1] .

مادام الحديث عن العقلانية أصـــبح يحتل مكانة مركزية في العصـــر الحديث، فإن هذه العقلانية تناصر بدورها الدفاع عن المبادئ الأساسية للدين على ضوء أنها بديهية وأن الوحي ليس ضرورياً مادام

---

[1] – يوسف كرم: العقل والوجود، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط3 (د. ت)، ص 8.

[1] – رنييه مونييه: البحث عن الحقيقة، ترجمة، هاشم الحسيني، منشورات دار الحياة، بيروت – لبنان، 1966، ص 15.

أولياته قد جبل بها الانسان بالفطرة ، لذلك كان من الضروري التسليم بما يوحي إليه العقل ومسايرة منطقه على أســـاس أن العقل يمثل خير مقياس للحقيقة، ولهذا وجب التبجيل به والعمل بتعليماته وعلى تقديره سلطته في مواجهة مختلف المزالق الفكرية والدينية التي قد يتعرض لها، هذا الذي حصل مع "ديكارت" حين اعتقد أن الله زوده بكثير من الأفكار الفطرية، لأن " مفتاح هذه المعرفة العقلية هو نور الطبيعة أو القدرة الفطرية التي غرسها الله في عقلنا للوصول إلى الحقيقة بواسطة الأفكار الواضحة والمتميزة"[2].

هذه الفطرة العقلية أفضـــت بدورها إلى تحقيق الاتفاق بين جميع الناس، وبالتالي فإنها تعود في الأصـــل إلى تأســـيس مبادئ عالمية، أو ما يعرف بالأوليات أو البديهيات، وهي مبادئ تجعل المرء يدركها بمجرد انفتاحه على العالم الخارجي دون الحاجة إلى التجربة ولا يختلف فيها كثيرا مع غيره من الناس لأنهم جميعاً يملكون بالفطرة هذه الأوليات الثابتة والمبادئ العالمية، وهذه المبادئ أصـــبحت بدورها راسخة على مستوى العقل وواضحة بذاتها، استناداً إلى مجموعة من المبادئ ، كمبدأ الهوية الذي يؤكد أن الشـيء هو عين ذاته، ولا يمكن أن يكون شـيئاً آخر؛ ومبدأ عدم التناقض الذي يقرر أن الشيء، لا يمكن أن يكون موجوداً ولا موجودا في آنٍ واحد، والأوليات الرياضية كقولنا:المساويان لثالث متساويان؛ والبديهيات المنطقية كقولنا الكل أكبر من الجزء.

ومن هذه الأفكار الفطرية أيضـــا، المســـائل الهندســـية كزوايا المثلث الثلاث المســـاوية لقائمتين، والمبادئ الأخلاقية الأولية كالخير والشـر، والحقائق الألهية كفكرة الخالق، وهذه الأوليات أو البديهيات تسـمى عند المسـلمين ، بالمعقولات الأولى أو الفطرة أو الضـروريات أو الأوائل المتعارفة، حيث قيل: تحصـل للإنسـان منذ أول أمره من حيث لا يشـعر، ولا يدري كيف ومن أين حصـلت. وهي أيضـا، قضـايا يصـدق بها لبعقل الصـريح لذاته وبفطرته، لا لسـبب من الأسـباب الخارجية عنه، من تعلم أو تخلق أو تجربة، ولا تدعو إليها قوة الوهم أو قوة أخرى من قوى النفس .

هذه المبادئ الفطرية البســـيطة والواضـــحة لا يعتريها الخطأ، وبهذا اعتبر "ديكارت" أن الأفكار الفطرية التي أودعها الله فينا لا تفضـي إلى الخطأ ، وتبقى متصـلة اتصـالاً وثيقاً بطبيعة العقل وتشـكل في واقع الأمر المحتوى الرئيس لمعظم الأفكار التي يتمتع بها، ولهذا كانت أفكارنا عن وجود أنفسنا وعن

---

[2] – باتريك هيلي: صور المعرفة، مقدمة لفلسفة العلم المعاصر، ترجمة، نور الدين شيخ عبيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان 2008، ص 39.

وجود الله صحيحتين لأنهما فطريتان وواضحتان بطبيعتهما تمام الوضوح، على أساس أن المذهب العقلاني، " يؤمن بأن فلسفته تضع بوضوح دور العقل في تحصيل وتبرير المعرفة"[1]، هذا ما جعل هذا المذهب العقلاني يطمح إلى مجاوزة الإطار الفكري الضيق الذي كانت تعيشه ثقافة العصور الوسطى. هناك حقائق يقينية كقوانين المنطق والرياضة والبراهين الهندسية لا يستطيع العقل أن يشك في صحتها، ثم أورد " أغسطين" مثالا حول اليقين الذي لا يتطرق إليه الشك وهو وجود الذات، فالذي يشك يعلم علم اليقين أنه مفكر، وأنه موجود كذات تفكر، ومهما أخطأ في إدراك حقيقة الموضوع الذي يفكر فيه فإنه يكون موجودا حتما، لأن غير الموجود فقط لا يخطئ. جميع الناس متفقون على أنهم يشكون، فهناك إذن حقيقة يقينية لا شك فيها، هي الشك "[2].

لقد تبيّن من هذا التوجه الذي باشره المذهب العقلاني، يتجلى في اتخاذ الشك مسلكاً في البحث عن الحقائق التي تمتاز بالوضوح، لكونه ينبثق من العالم الداخلي ولا يرتبط بالعالم الخارجي، وبالتالي كان فعل الشك أساساً متيناً في عملية بناء المعرفة، بناء سليماً تكون قاعدتها في غاية الوضوح والدقة، مما يجعلنا نقف في تأمل مباشر على مستوى ذواتنا غير آبهين بعالم الأشياء، لأن الله الهم في نفوسنا الأفكار عنه وعن القضايا الرياضية، لذلك منح لنا مفوما مباشراً وخاصاً عن بعض المبادئ الأولية، لذلك تنبثق كثير من الأفكار من تلقاء ذاته ومن نفسه وفقط، لأن الاستعدادات الفطرية الطبيعية، جعلت العقل يتهيأ لاستخلاص الحقائق الواضحة واليقينية من عمق ذاته، مجاوزاً معطيات العالم الخارجي. " الفكرة الحقيقية، هي الواضحة والمتميزة كما يقول "ديكارت Descartes"، لأنه هناك إمكانية البرهنة عليها أو تفسيرها، لهذا كانت النقاشات الفلسفية القائمة تدور حول طبيعة الفكرة" [1] .

صحيح أن اليقين المنشود يتجلى في عملية تجاوز المعطيات الحسية والايمان المباشر بقدرة العقل على تحصيل مختلف الحقائق التي تضمن له التماسك في بناء نسقه المعرفي على ضوء اتباع طريقة استدلالية محكمة البناء ، هذا الذي تعجز التجربة عن تحصيله، لأن جلّ المعارف التي تأتي من التجربة

---

[1]-Robert Nadeau : Vocabulaire technique et analytique de l'épistémologie, PUF, Paris, 1999, p.585.

[2] – علاء عبد المتعال: فلسفة العصور الوسطى في أوربا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية مصر،ط1، 2004، ص 20.

[1]-Didier Julia : Dictionnaire de la Philosophique, Librairie Larousse, Paris, 1979, p.138.

لا ترقى إلى مرتبة الوثوق فيها، لكونها مشـــتة ليس بإمكانها تحقيق اجماع الناس عليها، وأنها نســـبية ونتائجها احتمالية لا يمكن التسليم بها.

هذه العملية الفكرية التي قادت فلاســـفة العقل إلى امتحان قدرات الحواس في تحصـــيل مختلف المعارف عن العالم الخارجي، جعلهم يقومون بفحص مســـتوياتها التي لا يمكن الوثوق فيها، لأنها كثيرا ما تضـــللنا عن ايصـــال الحقيقة وتنتج لنا أوهاماً لا تمت بصـــلة إلى ما يدركه العقل، " لأن العقل في بداية عمره لا يعتمد على ضـــعف الحواس وعلى ســـلطة التلقين، لذلك فإنه من المســـتحيل تقريباً أن يكون خياله قائم إلا على أفكار لا نهاية لها وخاطئة في نفس الوقت قبل أن يصـــحـــحها هذا العقل بنفسه"[2] .

وبهذا يكون العقل هو الملكة التي تعمل دوماً على تصـــحيح الأخطاء التي تأتي من الحواس، وبالتالي يجب عدم الاطمئنان إلى ما تقدمه لنا من معارف ومدركات جزئية ناقصـــة، هذا الذي دفع "ديكارت" إلى نقد عمل الحواس: أما "ديكارت" فقد كان نقده للحواس واضـــحاً، بينما المعرفة الصـــحيحة التي لا نصـــل إليها إلا عن طريق الحواس ، إذ يقول: " غير أني وجدت الحواس خداعة في بعض الأوقاتن ومن الحكمة ألا نطمئن أبداً كل الاطمئنان إلى من يخدعنا ولو مرة واحدة... ولئن كانت الحواس تخدعنا في بعض الأحيان في أشياء صغيرة جداً وبعيدة عن متناولنا، فهناك أشياء كثيرة أخرى لا يعقل أن نشك فيها وإن كنّا نعرفها بطريق الحواس"[1].

كما يحتضـــن العقل الحقائق المحدوســـة، إذ توفرت له الظروف الملائمة لادراك الحقائق الأولى مثل الأوليات الرياضية والمنطقية، ويحصل ذلك من غير مقدمات مسبقة، والحدس نور فطري غريزي يمّكن العقل من ادراك فكرة ما دفعة واحدة، وليس على طريقة تعاقب الأفكار والأشـــياء، وبالتالي، فهو إدراك مباشـــر غير مســـبوق بمقدمات يمكن العودة إليها، ولا يمكن اختباره من الناحية التجريبية، ولا يحتاج إلى شـهادة الحس ولا إلى تأمل عقلي، لأن هذا النوع من الإدراك يكتنفه الوضـوح على أسـاس أنه يخضع إلى عمل عقلي خالص، يتجه إلى معرفة الحقائق البسيطة التي لا تنقسم إلى أجزاء، كالوجود والوحدة والزمان والمكان والامتداد.

---

[2]- Descartes : La recherche de la vérité, lecture de Joseph Baute, Ed, Babel actes sud, Paris ;1997, p.11.

[1] – رونيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة، كمال الحاج، منشورات عويدات بيروت – لبنان، ط4، 1988، ص 28.

إن اعتماد الآليات العقلية في نظر المذهب العقلاني، يقود إلى حدس الحقائق الثابتة التي يؤمن بها وبها تكون منطلقاً قوياً لاكتشاف الحقيقة واقامة الاستدلال عليها، لكون الحدس يوفر الأرضية المناسبة للمعرفة الواضحة التي لا يقوى الشك على زعزعتها أركانها، كما يقوم الاستدلال العقلي على تنقية هذه الحقائق من أشكال الخداع والأخطاء التي قد تعترض سبيله، لذلك كان البناء المعرفي الذي يسعى المذهب العقلاني إلى تأسيسه يحتاج إلى منطق سليم تنسجم فيه نشاط العقل في كل المنطلقات الفكرية وفي تصور جميع الموضوعات سواء كانت أخلاقية أو معرفية أو لاهوتية.